الفصل الأول

التفوق
قديماً وحديثاً

التفوق قديماً وحديثاً

أولاً: التفوق قديماً:

يعتمد كل عصر في تقدمه ونهوضه على أبنائه، وخاصة الأبناء المتفوقين والذين وهبهم الله قدرات وملكات لم تتوافر لغيرهم من بني جنسهم، ويختلف هؤلاء الأفراد في توظيف قدراتهم إما للخير والرقي، أو للشر والدمار، ويأتي دور المجتمعات في كيفية استغلال مثل هذه العقول وتوظيفها التوظيف الأمثل بعد رعايتها والاهتمام بها، وتختلف المجتمعات في نظرتها إلى مفهوم التفوق، فلكل مجتمع مفهوم للتفوق يعتمد على حاجات المجتمع وتقاليده، ومُثله العليا.

ففي عصر آدم - عليه السلام - أبو البشر، عندما لم يكن في الأرض سواه هو وعائلته كانوا في ندرة من الموارد وانعدام الخبرة في التعامل مع الكائنات الموجودة على سطح الأرض، فكان المتفوق من يمتلك مهارة الصيد لتأمين الغذاء.. وفي العصر اليوناني اختلفت الحاجة فاختلف مفهوم التفوق.

التفوق عند اليونان:

في أسبرطة كانت المواهب الحربية مقدسة، فقد هدفت التربية إلى إعداد الفرد لخدمة الدولة، فكان الفرد يُعد ليكون ذا كمال جسمي، شجاعاً متحلياً بالطاعة والمسؤولية ليكون جندياً شجاعاً لا يُهزم.. أما البنت فتُربى جسمياً وخُلقياً لتكون زوجة تقدم للدولة محاربين أصحاء أقوياء.

وكان يتم فرز الطفل بعد ولادته مباشرة لمعرفة مدى ملاءمته من الناحية الجسمية والصحية، فإذا ما وافق الأفورز Ephors على صلاحيته ينخرط في طبقة الأسبرطيين، وإذا وجد أنه غير ملائم من الناحية الجسمية سلموه إلى طبقة

الأجانب أو الأقنان لينصرف إلى مهنة أخرى غير الجيش[١] ، والطفل المعاق يُقتل[٢] ، لذلك كان مفهوم التفوق عند الأسبرطيين ينحصر في القوة الجسمية والشجاعة في الحروب لحماية الدولة .

ويتميز نظام التعليم في أثينا بالمرونة ، فالإدارة التعليمية بعيدة عن سلطان الدولة بخلاف ما كان موجوداً في أسبرطة . . وظهر في أثينا كثير من المدارس التي تبحث عن الامتياز والكمال ، ومن هنا تحددت بعض الفضائل الأساسية التي ينبغي على الفرد أن يتحلى بها خُلقياً وجسمانياً من أجل بلوغ الكمال أو الامتياز ، وبذلك كانت الفضيلة أو الكمال هي غاية العملية التربوية عند الإغريق .

وكان الرأي العام في أثينا ناضجاً وقوياً لدرجة أن الناس أقبلت على تعليم أولادها دون قانون إجباري أو تدخل من الدولة في شؤون التعليم ، فكان كلما وجد مدرس وجدت مدرسة ، وليس العكس ، وهذا ما حدث في أعقاب الحرب مع الفرس سنة ٤٨٧ ق . م ، عند ظهور جماعة المعلمين الذين عرفوا في التاريخ باسم السوفسطائيين الذين أتوا من جزر بحر إيجه إلى أثينا في القرن الخامس ق . م ، ووجدوا في أثينا بيئة صالحة لأفكارهم ، فقد كانت المواطنة في أثينا تهتم ببعض المهارات مثل : القدرة على الكلام ، والمهارة في المناقشة ، وكان المحور الرئيس لفلسفة هؤلاء السوفسطائيين اعتبارهم أن الإنسان هو معيار كل شيء ، وبالتالي فإن جميع المسائل قابلة للمناقشة وخاضعة لأحكام الإنسان ، ويجب أن لا يتقيد الإنسان بقوانين جامدة تقليدية تحد من حرية المناقشة وحرية النقد .

أما التعليم العالي فقد بدأت أسسه توضع في القرن الرابع ق . م على يد فلاسفة اليونان مثل : أفلاطون وأرسطو ، فكان هناك «أكاديمية أفلاطون» التي اهتمت بدراسة الفلسفة والرياضيات ، ثم «لسيوم أرسطو» الذي اهتم أيضاً

---

(١) دراسات في تاريخ الفكر التربوي ، ص ٥٨ .

(٢) مذكرة تاريخ التربية الخاصة ، أسامة معاجيني .

بدراسة الفلسفة ولكنه عني بدراسة العلوم الطبيعية بوجه خاص، وهكذا، وضعت هذه المعاهد تقليداً قديماً لنشأة الجامعات الحديثة في أوروبا، ولا زال اسم الليسية «Lycee» يوجد في فرنسا، واسم «الليسوم» يوجد في ألمانيا[١].

ويعتبر سقراط أول من وضع أسلوباً لتنمية المتفوقين، حيث وضع أسلوب التعرف على المتفوقين، وذلك بملاحظة سلوك التلاميذ المتفوقين وملاحظة نموهم في مراحل النمو العمري، ليرى ما عندهم من خصائص النباهة ـ التذكر ـ التركيب.

ومن خلال تعامله مع تلاميذه كوَّن مفهوماً للتفوق فكان المتفوق هو الشخص الذي يسبق أقرانه في مرحلة من مراحل النمو.

ويعرف أفلاطون المتفوق بأنه: «الشخص الذي يمر خلال نفس مراحل التطور النمائي التي يمر بها جميع الأفراد، ولكن بسرعات مختلفة وبمستويات عالية من الكفاءة من الفهم والاستيعاب»، مثل: (السرعة في الحبو، والمشي، والكلام، وتركيب الجمل)، وهذه المرحلة يسميها أفلاطون بـ(الإشراق الكامل)[٢].

يتبين لنا مما سبق أن التربية في بلاد اليونان اختلفت باختلاف العصور والبلدان، إلا أنهم اهتموا بتنمية الشخصية الفردية من الناحية الخُلقية والعلمية والسياسية، ويؤخذ على هذا الاهتمام أنه كان لفئة دون أخرى، كما أن هذه التربية اختلفت في أثينا عن أسبرطة، ففي أثينا وُجِّهت العناية إلى الجسد والروح معاً، أما في أسبرطة فكانت العناية موجهة للتربية الجسدية، وكان هدف الأسبارطيين تكوين أبطال وجنود للدفاع عن أسبرطة، مما جعل التربية تركز على تنمية طباع الغلظة والتقشف لتكوين أكبر عدد من المحاربين الشجعان.

---

(١) دراسات في تاريخ الفكر التربوي، ص ٥٨.

(٢) مذكرة تاريخ التربية الخاصة، أسامة معاجيني.

التفوق في الصين :

اهتم الصينيون بالمناصب العليا في القيادة، حيث كان الإمبراطور بنفسه يهتم بالمتفوقين ويقدم لهم التعليم والإقامة المجانية باعتبارهم كنز يجب حمايته[١] فكانت كل وظيفة تخضع لامتحانات عدة للكشف عن المتميزين وأصحاب العقول، وبطبيعة الحال أصبح هناك نوع من الاهتمام بالأبناء المتفوقين لإعدادهم لمثل هذه الاختبارات، فقد كان غرض التربية الصينية خدمة النظام القائم، وإعداد الموظفين للدولة، وهؤلاء يعينون حسب نتائج الامتحانات والشهادات التي يحصلون عليها، وقد أعجبت أفلاطون هذه الطريقة في التعيين في مناصب الدولة على أساس أنها لم تحل بين الشعب وتولي المناصب العامة، وبواسطتها لم يكن تولي المناصب العامة امتيازاً تتوارثه فئة قليلة دون أبناء الأمة، ولهذا كانت الدولة تعقد في أوقات معينة امتحانات عامة في كل مركز من المراكز يتقدم إليها من شاء من الذكور في سن معينة.

ومن هذه الامتحانات ما يؤهل لوظيفة من الوظائف الصغرى في المقاطعات أو يصبح عضواً في طبقة الأدباء، وهؤلاء من يحصلون على درجة «شيودزاي»، ويصبح من حق الناجح أن يتقدم لامتحان آخر أرقى وأصعب يعقد مرة كل ثلاث سنوات، ومن ينجح فيه يعين في الوظائف الحكومية الصغرى، وهو أرقى من وظائف المقاطعات، ومن حق الطالب أن يتقدم للامتحان مرة أخرى وثالثة ورابعة إذا رسب. . وقد يموت في سن الثمانين ولم تنجح محاولاته، فلا حد للسن في هذا الامتحان.

وأما الناجحون فيحق لهم التقدم لامتحان نهائي في كلية (هان لين يوان) أي غاية الأقلام، وهي أكاديمية إمبراطورية، وكان يعقد في بكين ذاتها في أغرب قاعة امتحان تتكون من عشرة آلاف حجرة، لكل طالب حجرة يأخذ فيها غذاءه وشرابه، حيث يستمر الامتحان ثلاثة عشر يوماً، ويعطى الطالب بعد دخوله

(١) مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين، ص ١٧ .

الحجرة أسئلة الامتحان كأن يكتب قصيدة عن «صوت المجاديف والتلال الخضراء والماء»، ويبقى في حجرة رديئة التهوية متحملاً البرد والشظف ليكتب عن كنفوشيوس والأدب والأخلاق والفلسفة. . وكان الناجحون يعينون في مناصب الدولة الكبرى، ولم يزد عدد الناجحين عن واحد في المائة[١] .

التفوق في مصر القديمة :

كان هناك اهتمام وبحث للتميز، وشروط كثيرة لاختيار المتميزين المتفوقين اختلفت وتنوعت حسب ظروف كل عصر، ففي مصر القديمة كانت مهنة الكتابة الخط الأول للترقي إلى المناصب الكبرى، فتعلم الكتابة لم يكن سهلاً ميسوراً، إذا عرفنا أنها تتكون من ٥٠٠ رمز، ولذلك كان الكتَّاب يعفون من الأعمال اليدوية، وينالون منحاً ملكية، وينصح الأب ابنه ليكون كاتباً فيقول له: «لم أر مطلقاً الحداد أصبح سفيراً ولا الصانع مبعوثاً، ولكنني رأيت الحداد يتلظى بالنار أمام الفرن، وأصابعه كالتمساح، ورائحته أقذع من السمك والبيض».

وكان النظام في المدارس قاسياً، والجلد كان شائعاً إذا ما ارتكب التلاميذ مخالفة الأوامر أو أهملوا أداء الواجب، بل وصل الأمر إلى حبس المخالف لمدة وصلت ثلاثة أشهر.

وعرف نوع التعليم الذي يطلق عليه التلمذة الصناعية، فينضم الطالب إلى حاذق في صناعته، ويتتلمذ عليه، وكان هذا النوع من التعليم خارج نطاق المدارس بصورتها الشكلية.

التفوق في الهند:

في الهند كانت جامعة (نالاندا) أشهر الجامعات بالمعاهد البوذية العالمية تبحث عن التفوق في مخرجاتها، فقد أنشئت بعد موت بوذا بزمن قصير،

(١) تطور الفكر التربوي، ص ٧٥ .

وخصصت لها الدولة دخل مائة قرية ليصرف منها على شؤون الجامعة، ويقال كان يؤمها عشرة آلاف طالب، وتحوي مائة قاعة، ولها مراصد عالية تبلغ السحاب ارتفاعاً، وكان المستوى العلمي بها عالياً جداً، لدرجة أن طلاب الدول المجاورة لا يستطيعون مجاراة طلابها في اطلاعهم ومناقشاتهم، فيعترفون لهم بالذكاء والغزارة الدراسية، حتى إن أحد علماء الصين ممن زاروا هذه الجامعة أعجب بها، ومكث في ربوعها خمس سنوات يناقش الطلبة ويجادلهم ويستمع إلى الأساتذة الجهابذة، ويدلل على صعوبة الدراسة بها أن عدد الذين كانوا يرسبون في الامتحانات أكثر من عدد الناجحين بالضعف(١).

التفوق عند العرب:

تفوق العرب في كثير من المجالات سواء قبل الإسلام أو بعده، وقد تميز العرب في العصر الجاهلي بالبلاغة ونظم الشعر، وعقدوا للشعر كثيراً من المنتديات كسوق عكاظ، وشجعوا المتفوقين في الشعر بأن تُعقد مسابقة يشارك فيها كبار الشعراء، وتكافأ القصيدة المتميزة بأن تعلق على الكعبة، وعرفت هذه بالمعلقات العشر، وقد صنف العرب والمسلمون الشعر في قوالب نظمية اكتسبت كثيراً من سمات الخلود في الأدب العربي.

وتعدى النظم حدود الأحاسيس والمشاعر والانفعالات إلى مجالات أوسع من المعارف الإنسانية، فقد خرج القصيد عن الموضوعات التقليدية للشعر، كالمديح والهجاء، والعتاب، والفخر، والرثاء، والغزل، واتجه إلى مجالات المعرفة، ولعل هذا النظم قصد به تيسير الحفظ للأغراض التعليمية، ومن هنا جاء وصفه بالنظم التعليمي أو بالمنظومات التعليمية، حيث إنها تخلو من عنصري العاطفة والخيال، وهما ركيزتان من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الشعر، ومن ثم فإننا نجد كثيراً من المنظومات قد صيغ في مجال العلوم العقلية كالكيمياء والطب والأغذية والفلك، والرياضيات، والموسيقى، وغيرها.

---

(١) تطور الفكر التربوي، ص ٨٤.

كما أن بعض هذه المنظومات قد جاء في بعض العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا، والملاحة البحرية، والأمور العسكرية وما إليها.

كذلك فإن علوم اللغة العربية قد فازت بنصيب وافر من هذه المنظومات، فمنها ما أنشئ في ألفاظ اللغة، كالمثلثات اللغوية، وفي قواعد النحو والصرف، وفي علوم البلاغة من بيان ومعان وبديع، وفي العروض والقوافي، وفي البديعيات.

وكان الجانب الأكبر من المنظومات العربية قد أُلِّفَ في العلوم الدينية، من علوم قرآن، وحديث، وفقه، وسيرة، وأخلاق، ويؤدي نظم العلوم العقلية إلى سهولة حفظها، إذ إنه كلما دعت الحاجة لاسترجاع قاعدة ما فما عليه إلا أن يسترجع الأبيات التي تشير إليها، وتقف «ألفية ابن مالك» في النحو مثالاً واضحاً للنظم التعليمي(١).

وتعددت أوجه التفوق عند العرب قبل الإسلام، فكان الفارس المقدام الذي يمتلك الشجاعة والبسالة والذي لا يُهزم بغض النظر عن موقفه حقاً أو باطلاً، ظالماً أو مظلوماً، يعتبر متفوقاً له احترامه وتقديره وهيبته.

ويمتد مفهوم التفوق ليشمل الكرم والعطاء والبذل والشهامة والمروءة.. لذلك كان أهل مكة يتسابقون ويتنافسون في السقاية والرفادة لزوار بيت الله.

وأصبح يُضرب المثل بحاتم الطائي في الكرم، كما كانت القبائل تتنافس في الحسب والنسب، وتفتخر بذلك، ويمتد التفوق ليشمل القاضي ذا الرأي الصائب، والعقل الراجح، الذي يقضي في مظالم الناس، ويفك الاشتباك بين القبائل.

وبعد مجيء الإسلام ودخول الناس في الدين السماوي، تغيّرت بعض أوجه التفوق، فأصبحت الشجاعة المتفوقة ما كانت لنصرة الحق في سبيل الله،

(١) العلوم العقلية في المنظومات العربية، ص ٢٩.

وكذلك الكرم والعطاء، وزاد الاهتمام بالجانب العلمي، وبخاصة التفقه في هذا الدين الجديد، ونهى عن الافتخار بالأحساب والأنساب لأنها تولّد البغضاء بين أبناء المجتمع الواحد، وكان كل ذلك انطلاقاً من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق**»(١).

علامات المتفوقين عند العرب:

استدل العرب قديماً على التفوق والتميز وقوة الذكاء، ورجاحة العقل، بعلامات تنقسم إلى قسمين من حيث الصورة والشكل، ومن حيث الأقوال والأفعال، وقد فصل في ذلك الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي:

القسم الأول: الخَلْق المعتدل والبنية المتناسبة، دليل على قوة العقل وجودة الفطنة، وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره، ومن كانت عيناه تتحركان بسرعة واحدة فهو مكّار محتال لص، وإذ لم يظهر على العين حمرة ولا صفرة دلت على طبع جيد، وإذا كانت العين صغيرة غائرة فصاحبها مكار حسود، والمعتدلون في الطول صالحو الحال، كما يستدل بحُسن الوجه وطول القامة وفصاحة اللسان على قوة العقل.

القسم الثاني: الاستدلال على الفائقين بالأقوال والأفعال.

قال ابن الجوزي: يستدل على عقل العاقل بسكوته وسكونه، وخفض بصره، وحركاته في أماكنها اللائقة بها، ومراقبته للعواقب، فلا تستفزه شهوة عاجلة عقباها ضرر، وتراه ينظر في الفضاء فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة في مطعم ومشرب وملبس وقول وفعل، ويترك ما يخاف ضرره، ويستعد لما يجوز وقوعه.

---

(١) صححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٤٦٤.

ويُروى أن لقمان قال لابنه : «يا بني ما يتم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال : الكبر منه مأمون، والرشد فيه مأمول، يصيب في الدنيا القوت، وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الشرف ، والذل أحب إليه من العز، لا يسأم من طلب الفقه طول دهره، ولا يتبرم من طلب الحوائج من قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، والخصلة العاشرة التي بها مجده وأعلى ذكره، أن يرى جميع أهل الدنيا خيراً منه وهو شرهم، وإن رأى خيراً منه سره ذلك، وتمنى أن يلحق به، وإن رأى شراً منه قال : لعل هذا ينجو وأهلَك أنا، فهنالك يستكمل العقل»(١) .

كما كان يستدل على عقل الطفل وذكائه بحسن تصرفه، فكان الأب يعمد إلى وضع الابن في مواضع التنفيذ، وفي المواقف المحرجة التي تحتاج إلى حسم الأمر، والمبادرة في اتخاذ القرار وتحمل ما يترتب عليه، فإن أصاب شجعه وشد على يده، وإن أخطأ قوَّمه وسدده(٢) .

التفوق في صدر الدولة الإسلامية :

لقد تعددت أوجه التفوق في صدر الدولة الإسلامية وتجسدت في كثير من مظاهر الحياة ، إلا أننا في هذه الدراسة سنركّز على مظهرين من مظاهر التفوق في بداية الدولة الإسلامية ، وبهذا نمهد لدراسة الشخصيات في الفصول القادمة مع التركيز على إبراز هذين المظهرين وهما :

١ ـ التفوق العلمي:

لقد دعا الإسلام إلى العلم والاشتغال به ، ولم يقصر الأمر على علم

(١) كتاب الأذكياء، ص ١٨ .

(٢) دور الأسرة في تنشئة الابتكار، مشاري بن رطام ، ص ٧ .

الدين وحده . ولكن كل علم يمكنه أن يفيد المسلمين ويمنحهم العزة والقوة .

وقد اعتز المسلمون وازدهر وجودهم في كثير من عصورهم الذهبية بتطبيق المنهج الإسلامي السديد والأخذ بتوجيهاته في ميدان العلم ، حتى نبغ كثير من العلماء في معظم نواحي الحياة وارتقت الحياة العقلية والعلمية ، بيقظة العقل عند المسلمين ، فكوّنوا أعظم دولة رائدة ، تخطو في نور العلم وعلى هدى الإيمان ، وكان العلم دعماً لقوتهم كما كانت القوة دعماً للعلم والإبداع فيه(١) .

فقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية الفضل الأكبر في حث المسلمين على تقدير العلم والعمل على تحصيله في مواضع كثيرة لا تكاد تحصى .

والقرآن الكريم كتاب علم وهداية ونور ، يكشف للناس كل يوم عن جديد لم يكن معروفاً من قبل .

قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (فصلت) .

كما دعا القرآن الكريم إلى العلم والبحث والتفكير في كثير من الآيات .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (النحل) .

بل إن الاسلام جعل التفكير قربة وعبادة من أفضل القربات بوصفه طريقاً إلى الهدى والإيمان .

---

(١) التربية الإسلامية، ص ٤٥ .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ (آل عمران) .

وبهذا أصبح العلم غذاء العقل ، والتفكير أداة العلم المنتج النافع ، لذلك طلب الله من الناس أن يتفكروا في خلقه وأن يعملوا عقولهم لا أن يحفظوا فقط ، وقد خاطبنا الله بما نعقل لا بما هو فوق طاقة عقولنا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾ (يوسف)

ثم إن الإسلام لم يقيد العقل الإنساني أو يحده عن طلب العلم ، ولم يمنع المسلمين أن يصعدوا إلى القمر أو ما بعد القمر ، فالكون مسخر لبني آدم .

يقول تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ (الجاثية) .

كما فرّق الاسلام بين من يعمل عقله ويفكر لحل مشاكل الحياة التي تزداد تعقيداً وبين من لا يعلم ولا يفكر وبالتالي لا يعمل . قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر : ٩) .

كما حث النبي - عليه الصلاة والسلام - في أحاديث عديدة على طلب العلم ، يقول عليه الصلاة والسلام :

"الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً" (١).

ونرى أن الإسلام لم يفرّق بين الدين والدنيا فلا دين لمن لا دنيا له وقد دعا النبي -عليه الصلاة والسلام- بالجنة لمن سلك طريق العلم :

"من سلك سبيلاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة"(٢) .

وقد جعل النبي -عليه الصلاة والسلام- طلب العلم كنزاً لا يفنى إلى يوم القيامة وذخيرة لصاحبه عندما قال :

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (٣) .

وقد أمر النبي- عليه الصلاة والسلام- بالتداوي وحث على المحافظة على الصحة، وتعاطى هو نفسه الدواء وكان يقول :

"ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه ، وجهله من جهله"(٤) .

ومن هنا انفتح أمام المسلمين طريق البحث والتجربة حتى كانوا رواد الطب الذين تشد إليهم الرحال ، وتعلم الغربيون اللغة العربية ليتعلموا من المسلمين ما نبغوا فيه وكانت اللغة العربية هي لغة العلم (٥) .

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، ص ٦٤١ .
(٢) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير ، ص ٥٧٩
(٣) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ص ١٩٩ .
(٤) صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ص ٩٧٤ .
(٥) التربية الإسلامية ص ٥٢ .

٢ ـ التفوق العسكري :

اهتم الإسلام بالجهاد في سبيل اللّه وشجع عليه وجعل للمجاهد مميزات كثيرة سواء انتصر أو قتل؛ لأن شعار المسلمين في الجهاد إما النصر أو الشهادة .

والجهاد عامل من عوامل القوة وإبراز الهوية الإسلامية ، فكلمة اللّه هي العليا وشرعة اللّه يجب أن تكون هي المهيمنة ، هكذا أراد اللّه للمسلمين أن يكونوا ، اختارهم اللّه أهل توحيد حق ، وأراد لهم عزة تسمو على غيرهم ومكانة تعلو على بني البشر قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون : ٨) .

والحروب في الإسلام ليست هي القاعدة وإنما هي الاستثناء، ذلك بأن الأصل هو السلام ، ولكن السلام لا يمكن أن يستقر أو يستمر إلا إذا استند إلى القوة التي تحميه وتصونه ما دام في الطباع ذلك الصراع بين الخير والشر ، وفيها نزعات التسلط والبغي .

من أجل ذلك فرض الإسلام القتال على من يرفض دعوته السلمية أو وقف لصد الناس عن عبادة ربهم وتوحيده ، كما جاء الجهاد دفاعاً عن العقيدة والأرض والنفس والعرض والمال .

ولهذا قرر الإسلام ضرورة القتال للدفاع المشروع ودعا إلى السلام وعدم الاعتداء، قال تعالى :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ (البقرة)

وقال تعالى : ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) ﴾ (البقرة) .

ويقول عز من قائل :

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (الأنفال) .

وقد حث القرآن المسلمين على الجهاد بالأنفس والأموال وجعل لهم أجراً عظيماً ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ (التوبة) .

والجنة غالية وتحتاج إلى تضحيات بالنفس والمال، كما أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم مقابل الجنة ، ثم إن الشهادة في سبيل الله ليست موتاً إنما هي الحياة السعيدة حقاً ، يقول جل وعلا :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ (آل عمران) .

هكذا يدفع الله المؤمنين إلى القتال ويبين لهم أن الموت في أثناء المعركة والانتهاء من الدنيا إنما هو حياة أخرى في الآخرة ورزق ونعيم .

والمسلم أمامه إحدى الحسنيين إما النصر أو الاستشهاد، وكلاهما حياة، وبهذه العقيدة يستمد المجاهدون إقداماً بغير حدود وهم يرجون لقاء الجنة بلقاء أعدائهم :

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢) ﴾ (التوبة)

كما أخبر القرآن أن أجل الإنسان محدود لا يتقدم إذا شارك في القتال ولن يتأخر إذا لم يشارك . فالحرب لا تقصر أجلاً - والجبن لا يطيل عمراً، قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (نوح) .

ويقول عز من قائل :

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (المنافقون : ١١) .

كما بيّن النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الدعوة إلى الجهاد ليست دعوة إلى الموت ولكنها دعوة إلى الحياة، ففي حديث يقول -عليه الصلاة والسلام- لمعاذ بن جبل :

«ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟».

قلتُ : بلى يا رسول اللّه ؟

قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»[١] .

فالجهاد ذروة سنام الإسلام والرسول -عليه الصلاة والسلام- يشير إلى سنام الجمل باعتباره سبب حياته في الصحراء التي لا طعام فيها ولا ماء، ولولا هذا السنام لمات الجمل جوعاً ، ولكنه يطعم من الدهن فوق ظهره، حتى إن السنام ليصغر ويذبل بعد الرحلة المتطاولة التي تبلغ خمسة عشر يوماً أو تزيد، وكذلك الجهاد هو سبب بقاء الأمة وحياطة عقيدتها ووجودها كلها [٢] .

وبهذا التعبير النبوي أصبح الجهاد بهذه المكانة العالية ، وكأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يشير لأصحابه أن الجهاد من أعلى أوجه التفوق لأنه درع الأمة من الأخطار وحياطة عقيدتها .

---

(١) رواه أحمد والترمذي ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢/ ١٩٦ .

(٢) التربية الإسلامية ، ص ١٠٢ .

ثانياً: التفوق حديثاً:

إن الاهتمام بالمتفوقين ليس بالأمر الجديد، بل هو منذ آلاف السنين (كما رأينا سابقاً)، إلا أنهم وعلى مر العصور لم يلقوا العناية الكافية التي لقيها المتخلفون عقلياً أو المعوقون بدنياً، وذلك رغم حاجة المجتمع الملحة إلى إمكانات هذه الفئة، بل إن معظم رجال التربية الخاصة حتى النصف الأول من القرن العشرين لم يدخلوا في اعتبارهم أن مجال التربية الخاصة يمتد فيشمل هؤلاء الأطفال. . ويجد من يتتبع تاريخ التربية الخاصة أن الأمريكيين مثلاً لم يهتموا بهذه الفئة بصورة جدية إلا منذ ابتداء النصف الثاني من هذا القرن، وبخاصة عندما أدركوا أن الروس قد سبقوهم في مجال الفضاء بإطلاق الصواريخ والأقمار الصناعية [١].

وبالرغم من قدم العناية بالمتفوقين إلا أن الدراسة العلمية المنظمة في هذا المجال لم تظهر إلا في نهاية القرن التاسع عشر على يد العالم الإنجليزي فرنسيس غالتون Francis Galton الذي قام سنة ١٨٩٢م بعدة دراسات تناولت علاقة العبقرية بالوراثة عند عدد من المشاهير في القضاء، والسياسة، والعلوم، والفن.

وفي بداية القرن العشرين كانت نسبة الذكاء المحك الوحيد للتفوق، ثم أضاف إليها باسو في العام ١٩٥٨م عامل التحصيل والأداء، وقام جيلفورد بإدخال بُعد آخر للتفوق هو الإبداع[٢].

تعاريف التفوق:

يعرف ديهان وهامجهرست (١٩٦٠م) المتفوق عقلياً بأنه: «من وصل في أدائه إلى مستوى أعلى من مستوى العاديين في مجال من المجالات التي تعبر عن المستوى العقلي الوظيفي للفرد، بشرط أن يكون ذلك المجال موضع تقدير الجماعة».

---

(١) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة، ص ٨٥.

(٢) فاعلية برنامج النشاطات الموجهة في تنمية مهارات التفكير العليا ـ عبدالناصر فخرو، ص ٤٢.

ويرى لوسيتو (١٩٦٣م) أن المتفوق عقلياً هو : «من تؤهله طاقاته العقلية للوصول إلى مستويات مرتفعة من التفكير الإنتاجي والتفكير التقويمي على نحو يسمح له بالوصول في المستقبل إلى مستويات مرتفعة من القدرة على حل المشكلات، والاختراع، وتقويم الثقافة، وذلك إذا توافرت له الخدمات والإمكانات التربوية المناسبة».

ويرى فليجروبيش أن المتفوق عقلياً هو : «الطالب الذي يصل في تحصيله الأكاديمي إلى مستوى يضعه ضمن أفضل ١٥ ـ ٢٠ ٪ من المجموعة التي ينتمي إليها، وهو من أصحاب المواهب التي تظهر في مجال كالرياضيات، المجالات الميكانيكية، العلوم، الفنون التعبيرية، الكتابات الابتكارية، القيادة الاجتماعية».

أما الجمعية الأمريكية القومية للدراسات التربوية (١٩٥٨م) فتعرف الطفل المتفوق عقلياً بأنه : «من يظهر امتيازاً مستمراً في أدائه في أي مجال له قيمة».

أو هو : «وصول الفرد في أدائه في مجال يرتبط بالتكوين العقلي إلى مستوى معين بشرط أن ينال تقدير الجماعة التي يعيش بينها»،

ويتضمن هذا التعريف ثلاثة شروط كي يصبح الفرد متفوقاً عقلياً :

١ ـ ارتباط النشاط الذي يقوم به الفرد بالتكوين العقلي.

٢ ـ وصول أداء الفرد إلى مستوى معين.

٣ ـ أن ينال هذا النشاط تقدير الجماعة[١].

ويميز دونلاب[٢] بين ثلاث فئات على أساس الذكاء هي :

أ ـ فئة الممتازين وهم من تتراوح نسبة ذكائهم بين ١٣٥ ـ ١٤٠ .

---

(١) تربية الموهوبين والتطوير التربوي ، ص ١٦ .

(٢) تربية الموهوبين والتطوير التربوي ، ص ٩٥ .

ب ـ فئة المتفوقين وهم من تتراوح نسبة ذكائهم بين ١٤٠ ـ ١٧٠ .

جـ ـ فئة العباقرة وهم من تزيد نسبة ذكائهم على ١٧٠ .

وهناك العديد من التعريفات للمتفوقين عقلياً منها ما هو تقليدي يحصر مفهوم التفوق العقلي في ضوء محك واحد كتعريف تيرمان الذي يرى أن المتفوق يكون من أفضل ١٪ من المجموعة التي ينتمي إليها، في مقياس ستانفورد بينية للذكاء[١] .

ومن التعريفات الأكثر اتساعاً للتفوق والتي لاقت قبولاً وانتشاراً:

١ ـ تعريف وزارة التربية والتعليم الأمريكية المعروف بتعريف ميرلند Marland, 1972: أن المتفوقين هم الأفراد الذين يمكن التعرف عليهم من قبَل المتخصصين، والذين تمكنهم قدراتهم العالية من القيام بأداء مميز، والذَين يحتاجون إلى خدمات أو برامج تربوية خاصة، زيادة عما يقدم عادة في البرامج المدرسية العادية ليتمكنوا من تحقيق إسهامات متميزة نحو ذواتهم ومجتمعاتهم، إن الأفراد الذين يتمكنون من القيام بالأداء المتميز هم أولئك الذين يظهرون أداءً «متميزاً» في واحد أو أكثر من المفاهيم التالية:

أ ـ القدرات العقلية العامة.

ب ـ التفكير الابتكاري.

جـ ـ الاستعداد الأكاديمي.

د ـ القدرات القيادية.

هـ ـ المهارات الفنية .

و ـ المهارات الحركية .

وقد عدل التعريف في سنة ١٩٧٦م وحذفت منه المهارات الحركية لأن

(١) تقدير الذات ودافع الإنجاز لدى الطلبة المتفوقين عقلياً، حمد بليه العجمي، ص ١٢ .

هناك مؤسسات تعطيها حقها من الاهتمام[١] .

٢ ـ مفهوم الحلقات الثلاث لرونزولي (رونزولي Renzulli, 1985)[٢] :
المتفوق هو الشخص الذي يتصف بقدرة عقلية عامة فوق المتوسط Above Aver-age Ability ومستوي مرتفع من الالتزام بالمهمة التي يقوم بها High Task Com-mitment ، ومستوى مرتفع من الابتكارية High Creativity ، وبذلك يكون المتفوقون هم أولئك الذين يمتلكون هذه المجموعة من الخصائص والقادرون على تطويرها والاستفادة منها في الأداء، والذين قد يحتاجون إلى خدمات وبرامج غير تلك المقدمة للأفراد العاديين، ويوضح هذا المفهوم بالشكل التالي :

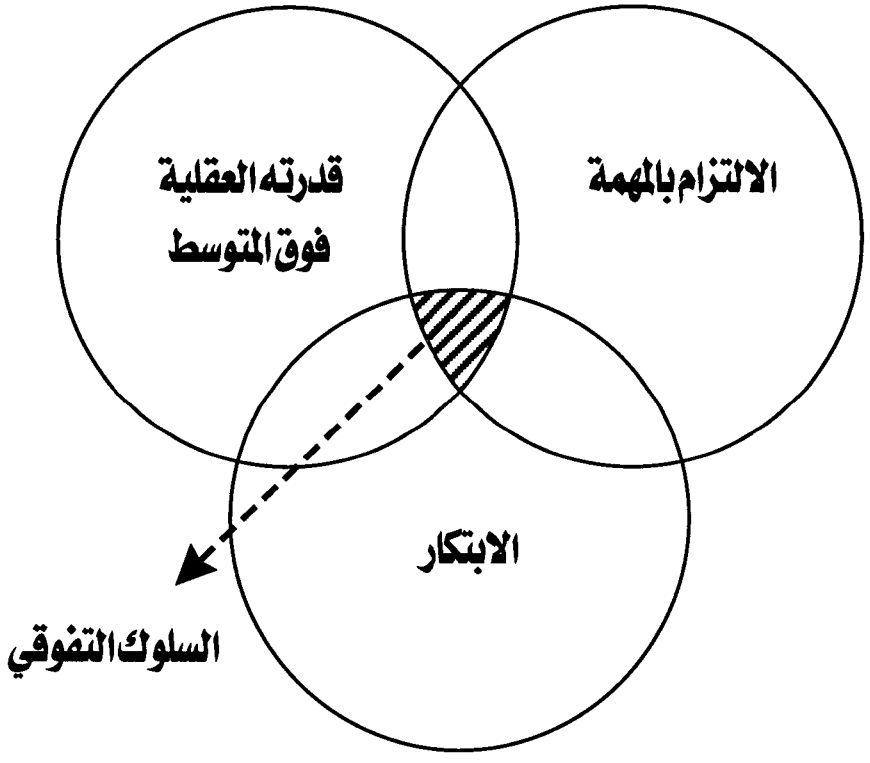

يوضح الشكل (رقم ١) نموذج رونزولي للسلوك المتفوق

---

(١) In : Maajeeny, 1990, PP. 13 - 21.

(٢) Renzulli, 1985, p. 24 .

خصائص وسمات المتفوقين :

اهتم علماء النفس والمختصين بتصنيف الطلاب إلى فئات تبعاً للسمات والخصائص السلوكية، وذلك ليسهل التعرف على حاجاتهم المعرفية والانفعالية والاجتماعية والجسمية، ومن ثم تقديم الخدمات المناسبة لهم ضمن البيئات الأنسب، فمن المعروف أن الأطفال يختلفون عن بعضهم في القدرات المعرفية واللغوية والاهتمامات وأنماط التعلم، ومستويات الدافعية الشخصية[١]، كما أن الطلبة المتفوقين ليسوا مجتمعاً متجانساً، بل يختلفون في سماتهم وخصائصهم السلوكية تبعاً لدرجة تفوق كل فرد، فكلما زادت درجة تفوق الفرد كلما زادت درجة تفرده عن الآخرين، إضافة إلى تأثر كل فرد بالبيئة التي يعيش فيها، مما يعني أنه ليس بالضرورة أن تظهر جميع الخصائص السلوكية الواردة لاحقاً عند كل المتفوقين، كما أن هناك تفاوتاً بالنسبة إلى ظهور كل من هذه الخصائص.

يذكر مجموعة من علماء التربية الخاصة [٢] عدداً من خصائص المتفوقين نورد منها ما يلي :

أولاً : الخصائص الجسمية :

أظهرت نتائج الدراسات المستفيضة ومن بينها دراسات ترمان وغيره من علماء النفس أن مستوى النمو الجسمي والصحة العامة للأطفال المتفوقين يفوق المستوى العادي، ولا يعني ذلك بالضرورة أن كل طفل متفوق عقلياً لابد وأن يكون أكثر طولاً ووزناً وأوفر صحة من غيره من الأطفال العاديين، أو أن من يعاني ضعفاً في نموه الجسمي أو عاهة بدنية لا يمكن أن يكون متفوقاً من الناحية العقلية، ولكن ما نعنيه هو أن اتصاف الفرد بالتفوق العقلي لا يؤدي إلى اعتلال صحته كما كان يشاع قديماً، بل على العكس من ذلك فإن المتفوق عقلياً إذا ما منح تكويناً بيولوجياً فوق المتوسط فإن ذلك التفوق سيهيئ له فرصة أحسن لتنمية

(١) الموهبة والتفوق والإبداع ، ص ٤٧ .

(٢) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة ، ص ٩٨ .

تكوينه البيولوجي إلى مستوى أفضل من المستوى الذي يصل إليه الطفل العادي الذي يماثله في تكوينه، وقد يرجع ذلك إلى ما لهؤلاء الأطفال من قدرة فائقة على إدراك العلاقات السببية المختلفة مما يساعدهم على إدراك قيمة العادات الصحية السليمة، وأنسب طرق العناية لتنمية أجسامهم على نحو سليم.

ثانياً: الخصائص العقلية:

لاشك أن من أهم ما يميز الشخص المتفوق عقلياً عن غيره من الأشخاص العاديين يكمن في خصائصه العقلية، فالطفل المتفوق عقلياً يكون أسرع في نموه العقلي من غيره من الأطفال العاديين، إذ يبلغ نموه العقلي (١,٣) على الأقل في حين أن معدل النمو العقلي للطفل العادي هو (١)، كما أن المستوى الذي يصل إليه مثل هذا الطفل أعلى من المستوى الذي يصل إليه الطفل العادي الذي يماثله في العمر الزمني، أو بعبارة أخرى، فالعمر العقلي (وهو ما يستدل منه على مستوى النمو العقلي) للطفل المتفوق عقلياً أكبر من عمره الزمني في حين أن العمر العقلي للطفل العادي يساوي تقريباً عمره الزمني، وعلى ذلك فإذا قيس ذكاء الطفل المتفوق عقلياً ـ هذا إذا اتفقنا على أن هناك عاملاً عقلياً خالصاً يُقاس بما نسميه اختبارات الذكاء فسنجد أن ذكاء المتفوق عقلياً أعلى من نسبة ذكاء الشخص العادي، وقد يضع بعض علماء النفس نسبة الذكاء (١٣٥) أو أكثر كحد فاصل بين العاديين والمتفوقين، وهناك منهم من يكتفي بنسبة ذكاء ١٢٠ كحد فاصل بين المتفوقين عقلياً والعاديين.

ويتميز هؤلاء الأطفال عن غيرهم بنموهم اللغوي فهم أسرع في اكتسابهم اللغة عن الأطفال العاديين، ويصلون في نموهم اللغوي إلى مستوى أعلى من المستوى الذي يصل إليه أقرانهم في السن.

كما أشارت الدراسات التي أجريت على المتفوقين فيما يتصل بنموهم في القراءة إلى النواحي الآتية:

١ ـ السن المبكرة التي يتعلمون فيها القراءة.

٢ ـ ميلهم غير العادي إلى القراءة .

٣ ـ نضجهم المبكر في قراءة كتب الكبار .

٤ ـ قراءتهم المستفيضة في مجالات خاصة .

ثالثاً : الخصائص الاجتماعية :

على الرغم من أن أهم ما يميز المتفوقين عن غيرهم يكمن في خصائصهم العقلية ، إلا أنهم يتميزون عن غيرهم في قدرتهم على تكوين علاقات اجتماعية مع غيرهم ، والتواؤم مع الجماعات التي يعيشون بينها ، وكثير منهم يلعبون أدواراً قيادية على المستوى الاجتماعي ، وتدل دراسات «كرودو» و«جالاجر» على أن المتفوقين بالصفوف الثانية حتى الخامسة بالمرحلة الأولى (الابتدائية) أكثر شعبية Socially Popular بين الأطفال العاديين ، كما أنهم يفوقونهم في تكيفهم مع البيئة .

رابعاً : الخصائص الانفعالية :

تتفق أغلب الدراسات على أن المتفوقين يتمتعون باستقرار عاطفي ، واستقلالية ذاتية ، وأنهم أقل جموداً من العاديين ، وأقل رغبة في السيطرة ، وأكثر ميلاً إلى المخاطرة ، ويعتمدون على أنفسهم واثقين من قدراتهم ، وبصفة عامة أكثر نضجاً من العاديين في تعاملهم مع بيئتهم ، كما يتميزون بالمثابرة ولديهم قدرة ممتازة على ضبط النفس ، ويتحملون المسؤولية وهادئون ومسالمون إذا ما وجدوا الرعاية المناسبة .

والمتفوق شخص يهوى الإنتاج الأدبي والفني ولا يميل إلى كل ما هو روتيني كالأعمال الكتابية ، أو الحسابية ، أو الأعمال الميكانيكية ، كما أن المتفوق قد يجمع بين الأشتات ، وهو في جمعه للمتضادات سعيد ولعله سعادته هذه

ترجع إلى قدرته في إيجاد حالة من التوازن بين تلك المتضادات [١] .

تصنيف جورج لمظاهر وخصائص التفوق:

ويتميز المتفوقون عقلياً بعدد من السمات والخصائص في عدة مجالات تميزهم عن غيرهم من العاديين، فقد صنف George[٢] تلك السمات والخصائص على أهم مجالات التفوق :

القدرة العقلية العامة General Intellectual Apility :

١ ـ الذكاء المرتفع (أعلى من ١٣٠).

٢ ـ التطور اللغوي المبكر.

٣ ـ الطموح الفكري المتوقد والمتعلق بالميول والهوايات المتنوعة.

٤ ـ القدرة غير العادية على التفكير النقدي والتقييمي.

٥ ـ سهولة التعلم والاسترجاع.

٦ ـ القدرة العالية على التركيز وطول مدى الانتباه.

٧ ـ دقة الملاحظة والحذر الشديد.

٨ ـ الإنجاز فوق المتوسط.

٩ ـ تفضيل الاستقلالية في التعلم.

١٠ ـ التطلع إلى معرفة مشاكل وقضايا البالغين.

١١ ـ القدرة على القراءة مبكراً.

١٢ ـ المواظبة والالتزام بالمهمة.

---

(١) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة، ص ١١٠ .

(٢) George, D. (1992) The Challehy of the Able child PP. 16 - 24 .

الاستعدادات الأكاديمية الخاصة Special Academic Aptitude (الرياضيات):

١ ـ ميول غير عادية في النظم الرياضية المختلفة (العد، القياس، الأوزان . .) .

٢ ـ التلاعب بالأرقام وفهم العلاقات المختلفة بينهم .

٣ ـ ميول حادة في مفهوم الوقت والساعة والتقويم .

٤ ـ ميول حادة في النظم المالية المختلفة .

٥ ـ سهولة رؤية العلاقات في المسائل الرياضية واستنتاج الحلول .

٦ ـ الاستخدام المبكر لأسلوب حل المشكلات .

٧ ـ القدرة على تطبيق الحلول المستخلصة على مسائل أخرى أو مواقف مختلفة .

٨ ـ سرعة وسهولة اصطياد الأخطاء .

٩ ـ الانزعاج الشديد من الأعمال غير المنتهية (لم تكتمل بعد) .

١٠ ـ ذاكرة قوية .

١١ ـ نشاط ذهني قوي ليس من السهل إصابته بالإجهاد .

١٢ ـ الرغبة الشديدة في استخدام الحاسوب .

١٣ ـ قد لا تتواكب هذه المواهب مع مواهب أخرى .

١٤ ـ يكون في أعلى ٢٪ .

الفنون البصرية والأدائية Visual and Performing Arts :

١ ـ حدة ملاحظة حتى لأدق التفاصيل .

٢ ـ رفاهة الأحاسيس والعواطف .

٣ ـ تفان عال في الأعمال .

٤ ـ مهارات فائقة في استخدام وسائل متعددة .

٥ ـ مهارات تقنية متقدمة .

٦ ـ ميول حادة في الفنون .

٧ ـ قوة تحمل وصبر شديدين .

٨ ـ قدرة على التقييم الذاتي .

٩ ـ الاستمتاع بزيارة المتاحف والمسارح وأي مكان يتضمن نوعاً من أنواع الفنون .

١٠ ـ التمتع بصحة بدنية جيدة تستخدم في التعبير غير اللفظي عن الأفكار .

١١ ـ تعدد وتنوع في مهارات التواصل وحسن استخدامها للتعبير عن المشاعر والأحاسيس .

١٢ ـ ذاكرة قوية .

١٣ ـ شدة تركيز ومدى انتباه طويل .

١٤ ـ تعاطف ومواساة شديدين .

١٥ ـ شعور جيد بالمرح والمزاح .

القدرات نفس ـ حركية Psychomotor Apility :

١ ـ الاستمتاع بالحركة والتمارين والأنشطة الحركية .

٢ ـ تعدد وتنوع الحركات .

٣ـ رشاقة وخفة حركة غير عاديين.

٤ـ صحة بدنية وطاقة ونشاط منقطعي النظير بالنسبة للعمر الزمني للمتفوق.

٥ـ قدرة غير عادية على استخدام وتنويع المهارات الحركية.

٦ـ قدرة فائقة على توقع حركات الآخرين.

٧ـ شدة تركيز وانتباه.

٨ـ دقة وانضباط عظيمين.

٩ـ قدرات إدراكية واستقبالية جيدة.

١٠ـ دقة شديدة في التآزر البصري ـ الحركي.

١١ـ ميل غير عادي للأنشطة التي تتطلب استخدام المهارات الحركية الدقيقة.

١٢ـ انضباط ذاتي وتفانٍ في العمل.

الإبداع والتفكير المنتج Crative of Productive Thinking :

١ـ ذكاء مرتفع غير عادي ولكن ليس من الضروري أن يكون نادراً.

٢ـ الطلاقة اللفظية والفكرية.

٣ـ التحليل الدقيق للأفكار إلى أدق التفاصيل.

٤ـ الاستمتاع بالتحديات الصعبة المعقدة.

٥ـ القدرة على اكتشاف الفجوات والنواقص في مجالات المعرفة التي قد لا يلاحظها الآخرون.

٦ـ صعوبة الاقتناع أو الانصياع لأفكار الغير.

٧ـ الولوع بالمغامرة والطموح الشديد لحب معرفة كل صغيرة وكبيرة عن أي شيء خصوصاً ما يتعلق بالميول الشخصية.

٨ـ سرعة الملل من الواجبات والأعمال المتكررة الروتينية.

٩ـ خصوبة الخيال.

١٠ـ رهافة الأحاسيس والعواطف.

١١ـ قدرة فائقة في إنتاج الأفكار الأصيلة.

١٢ـ مستوى نشاط عالٍ جداً.

١٣ـ تفضيل المهام ذات النهايات المفتوحة.

١٤ـ مرونة فائقة في التفكير.

القدرات القيادية Leadership Apility :

١ـ قدرة عالية على التنظيم والتخطيط.

٢ـ لباقة شديدة وحسن تصرف.

٣ـ قدرة جيدة على إصدار الأحكام.

٤ـ قدرة جيدة وولع شديد لمساعدة الآخرين.

٥ـ قدرة على إقامة علاقات اجتماعية جيدة.

٦ـ تفاؤل دائم.

٧ـ قدرة فائقة في استخدام مهارات التواصل المختلفة مع الصغار والكبار.

٨ـ شهرة وبروز.

٩ـ ثقة عالية بالنفس.

١٠ـ تحمل للمسؤولية بكل ما تعنيه العبارة.

١١ ـ حاذق في تحديد الأسباب والنتائج.

١٢ ـ مقنع.

١٣ ـ صانع قرار.

١٤ ـ قدرة متميزة على التفاوض.

وفي دراسة حاولت المقارنة بين المتفوقين العاديين من طلبة وطالبات المدارس الثانوية العامة، أثبت فيها محمد نسيم رأفت وآخرون[١] أن الطالب المتفوق يتميز بعدد من الخصائص من أهمها:

١ ـ الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس.

٢ ـ التميز بقوة الأنا التي تنم عن الثبات الانفعالي والنضج والهدوء.

٣ ـ المخاطرة والإقدام التي تنم عن المغامرة والاندفاع.

٤ ـ الثقة الكاملة بالنفس.

٥ ـ أكثر ذكاء وأكثر قيادة وتصميماً.

٦ ـ أكثر مثابرة وقوة في العزيمة وأكثر تحملاً للمسؤولية.

٧ ـ أكثر واقعية ويتميزون بالتفكير المنطقي.

٨ ـ قوة التوتر الدافعي وسهولة الإثارة.

كما أثبت أديب محمد الخالدي (١٩٧٥م)[٢] في دراسة حاولت إظهار العلاقة بين التفوق العقلي وبعض جوانب التوافق الشخصي والاجتماعي لدى تلاميذ المدارس الإعدادية العراقية أن التلميذ المتفوق عقلياً في المدارس الإعدادية العراقية يتميز عن غيره من التلاميذ العاديين، بكونه أكثر قدرة على التوافق

(١) في: قدرات وسمات الموهوبين، خليل معوض، ١٩٨٤م.

(٢) في: تقدير الذات ودافع الإنجاز لدى الطلبة المتفوقين عقلياً، حمد بليه العجمي، ص ١٥.

الشخصي والاجتماعي، وذلك لارتفاع مستوى قدرته العقلية العامة.

كما اتصف المتفوق عقلياً بالاعتماد على نفسه في تقدير سلوكه إزاء المواقف الجديدة التي تواجهه لما يتمتع به من اكتفاء ذاتي، وثبات انفعالي، وثقة بالنفس، وقدرة على المثابرة، وتحمل المسؤولية، وكذلك شعوره بالحرية في تخطيط مستقبله، واختيار أصدقائه، وارتفاع مستوى قدرته العقلية العامة، يجعله يدرك العناصر المختلفة الموجودة في الموقف، ويكون أقدر من غيره على إدراك الاحتمالات المختلفة للسلوك، كما أنه يكون مدركاً لما يترتب على سلوكه، وقادراً على التوافق والانسجام مع الآخرين، ومتفهماً لأهمية العلاقات الاجتماعية ومتكيفاً تكيفاً حسناً، كما يتقبل أحكام الجماعة برضى، ويشارك في نشاطاتها، ويعمل على تحقيق أهدافها.

استعدادات للتفوق عند الأطفال:

يرى هيلدرث [1] بعض السمات التي يمكن عن طريقها التنبؤ بوجود قابليات عالية للتفوق والتميز لدى الأطفال يمكن ملاحظتها بدءاً من عشر سنوات (في رأي هيلدرث).

الصفات المدرسية:

١ ـ يتعلم بسهولة وسرعة.

٢ ـ موجود في صف متقدم بالنسبة إلى سنه.

٣ ـ يحب الدراسة، وبوسعه أن يدرس وحده، يفوز بامتيازات أكاديمية شتى.

٤ ـ يعرف المكتبات ويستخدمها أكثر بكثير من طفل متوسط في سنه.

٥ ـ يقرأ بيسر وسرعة أكثر بكثير مما يفعله الأطفال من فئته في العمر، يحب كتب الأطفال الأكبر منه عمراً، بل كتب الراشدين.

---

(١) في: الموهوبون: ريمي شوفان، ص ١٦١.

٦ ـ ينجح في الرياضيات .

٧ ـ مطّلع جداً على العلوم، يستخدم الآلات العلمية استخداماً بمهارة أكثر بكثير من فئة عمره .

٨ ـ مطّلع جداً على العلوم الاجتماعية والتاريخ والجغرافية .

٩ ـ يُعنى بالأحداث السياسية، ذو اتجاه نقدي إزاء الأحداث اليومية، وذو اهتمام بالأفكار الفلسفية والاجتماعية .

١٠ ـ يؤلف تأليفاً متميزاً قصصاً وقصائد .

١١ ـ بوسعه أن يتكلم ويقرأ ويكتب لغة ثانية بكل سهولة .

١٢ ـ يرغب في اختيار مهنة فكرية .

الطبـــع:

١ ـ يختار رفاقاً له أطفالاً أكبر منه أو راشدين .

٢ ـ قابل للتكيّف من الناحية الاجتماعية، سهولة في العلاقات .

٣ ـ يضطلع بدور الزعيم على نحو سهل، ويُختار بوصفه كذلك، منظم جيد، ويفرض احترام قراراته .

٤ ـ يعدّه الأطفال الآخرون مختلفاً، يفقد صبره إزاء أولئك الذين يستجيبون استجابة أقل سرعة منه، ذو موقف عدواني أو مسيطر إزاء فئة عمره .

٥ ـ يتمرد على ما يبدو أن ما يتطلبه الآخرون منه غير معقول .

٦ ـ يستجيب للسلطة استجابة الراشد، ويحترم القواعد .

٧ ـ يرغب في تقديم الخدمات، حريص على خير الآخرين.

٨ ـ حسه الأخلاقي حس الراشد، حريص على العدالة.

٩ ـ حس كبير بالمسؤولية، صادق وأمين لالتزاماته.

١٠ ـ متواضع فيما يخص تقدير قدراته، ينفي أن يكون لديه منها أكثر من الآخرين، يحترم ما يفعله الآخرون.

١١ ـ حس الدعابة.

١٢ ـ متقدم بالنسبة لسنه من الناحية الجسمية، قوي جداً ونشيط.

النمـــو:

١ ـ يعترف به الآخرون على أنه ناضج أكثر من سنه منذ أصغر عمره.

٢ ـ كان يتكلم في سنته الثانية أو الثالثة على نحو مبتكر، ويخترع كلمات ويصوغ جُملاً.

٣ ـ مهارة يدوية أعلى من سنه مبكرة جداً.

٤ ـ موهبة خاصة فنية مبكرة النضج جداً.

٥ ـ اهتمام مبكر جداً بكتب الصور، ذاكرة للقصص مبكرة النضج جداً، كان يقرأ في البيت للمتعة قبل أن يدخل المدرسة.

٦ ـ يتعلم القراءة في المدرسة بيسر، بلغ سرعة القراءة الطبيعية قبل السن الطبيعية، سن ٩ ـ ١٠ سنوات.

٧ ـ يتقن كتابة اسمه وبعض الأعداد والكلمات البسيطة قبل أن يدخل المدرسة، يعرف الأبجدية في زمن مبكر جداً.

٨ ـ اهتمام مبكر بالأعداد والحساب، وبالتقاويم وساعات الحائط والزمن والمسافات.

٩ ـ يعرف في زمن مبكر جداً أسماء الأشياء المستعملة وطريقة استخدامها.

١٠ ـ متقدم في الكتابة.

١١ ـ يُعنى بالألعاب المعقدة ذات القواعد منذ زمن مبكر جداً.

١٢ ـ يلعب وحده بألعاب من اختراعه منذ نعومة أظفاره، له رفاق متخيّلون، يخترع عالماً متخيلاً.

١٣ ـ متقدم في صفه جداً بالنسبة إلى سنه.

١٤ ـ متحدر من أسرة ذات مستوى فكري عال.

١٥ ـ والدان متسامحان، يشجعان اهتمامات الطفل.

سلبيات المتفوقين:

لكل إنسان في هذه الدنيا سلبيات ونواقص مهما تمتع به من خصائص عقلية ومهما بلغ من رقي وعلم، فالكمال غاية يسعى لها الناس ويبحث عنها الجميع، ويختلفون في طموحهم كل حسب دوافعه وميوله واهتماماته، والكمال غاية كلية تتم من خلال الرضا، والرضا يتحقق بصفة نسبية في هذه الدنيا، ويتحقق بصفة مطلقة في الآخرة، حيث إن طبيعة هذه الدنيا تتسم بالتغير والفناء والابتلاء، لذلك فالكمال لله وحده عز وجل، والطالب المتفوق يتصف ببعض الخصائص السلبية إلى جانب تلك الإيجابية.

وقد ذكر إنجلر جيرد [١] أهم الخصائص العامة للطالب المتفوق الإيجابية والسلبية:

---

(١) Engelsgjerd, (1988) Characteristics of Gifted and Taknted Studints. PP. 13 - 20.

الإيجابيـــة	السلبية
١ ـ يتعلم بسرعة ويسر.	يمل بسهولة من الواجبات الروتينية.
٢ ـ خيالي جداً .	قد يتصور أشياء لا يفهمها الآخرون.
٣ ـ طموح جداً، يسأل عن كل صغيرة وكبيرة.	قد يتعود على ذلك مما يسبب مضايقة لبعض الناس .
٤ ـ قوي الملاحظة ، وحذر جداً .	ربما يلاحظ أشياء أكثر مما ينبغي.
٥ ـ يتمتع بطول فترة الانتباه.	ليس من السهل جذب انتباهه إلى مواضيع أخرى.
٦ ـ يتمتع بتعدد وتنوع الميول والرغبات.	يصعب بعض الأحيان تلبيتها في الصف.
٧ ـ يتذكر ما يُقال أو ما يُقرأ دون عناء أو مراجعة.	يمل بسرعة من الأعمال التكرارية.
٨ ـ يستمتع بالقراءة، خصوصاً المواضيع التي تتخطى درجة نضوجه.	ربما يطلع على أشياء غير ملائمة له.
٩ ـ مرح، ويفضل الدعابة والمزاح.	قد يطلق نكتاً على من هم أكبر منه على سبيل السخرية.
١٠ ـ لديه رغبة قوية للتميز والتفوق.	يحبط بسرعة، يخاف من أقل فشل يواجهه.
١١ ـ لا يفضل اتباع آراء وتنظيمات الآخرين.	يفضل العمل بالطريقة التي تناسبه.
١٢ ـ يتمتع بحصيلة لغوية كبيرة يمكن أن يستخدمها بسهولة ودقة.	ربما يتسبب في إحراج الطلبة الآخرين أو يحبطهم.
١٣ ـ قيادي في معظم الأنشطة التي يشارك فيها.	قد يصبح دكتاتورياً.
١٤ ـ محط أنظار الآخرين في مواقف إبداء الرأي أو اتخاذ القرارات.	قد يتجاهل آراء الآخرين ويرفضها.

وتذكر بعض الدراسات أن كثيراً من الطلبة المتفوقين يبحثون عن الكمال ويسعون نحوه في جميع مجالات الحياة، ولا يرضون بأقل من درجة الكمال مما قد يؤثر في حياتهم اليومية والمستقبلية ويجعلهم يتصفون ببعض السمات التالية والتي أوردها الدكتور محمد رفقي عيسى (١٩٨٨م) في كتابه الدافعية.

١ ـ تأرجح المزاج :

يضع لنفسه هدفاً وهو التفوق في اختبار الرياضيات، وفعلاً يحقق ذلك فيشعر بارتياح عظيم، لكنه لا يتفوق في الاختبار الثاني فيحصل على (B) فيشعر بالكآبة المتواصلة، وتتغير نفسيته، ويلاحظه أصدقاؤه وأفراد عائلته. . ولا يستجيب لهم عندما يحاولون التخفيف عنه، ثم تجده يفرح ويسر إذا قدم الاختبار الثالث وحصل فيه على درجة عالية.

٢ ـ لعبة الأرقام :

الاهتمام بالشكل لا بالمحتوى : يهتم بجمع أكبر عدد من الإنجازات، من شهادات التفوق ومن الجوائز ومن لوحات الشرف، دون الاهتمام بالغاية التي من أجلها ربح هذه الجوائز.

ومع هذا لا يرضيه أي رقم وصل إليه بل يستمر في العد.

٣ ـ التفكير التلسكوبي :

ينظر من الطرف المكبر عندما ينظر إلى أهدافه لتبدو أكبر مما هي عليه في الواقع، وينظر من الطرف المصغر عندما ينظر إلى إنجازاته حتى تبدو صغيرة وغير جديرة بالتقدير.

مثال: لا يرضيه أن يكون الأول على المنطقة التعليمية، بل يريد أن يكون الأول على الدولة.

٤ ـ التركيز على المستقبل :

الانشغال عن الوقت الحاضر وعدم الاهتمام به، وذلك بالتفكير المستمر والدؤوب لتحقيق إنجازات المستقبل.

مثال : طالب بعد حفل تخرجه من الثانوية العامة أخذ كل من الحاضرين يقدم له التهنئة والتبريكات، إلا أن تفكيره كله ووجدانه أثناء تقديم التهاني كان يحمل هم الدراسة في الجامعة وكيفية التفوق .

٥ ـ إلقاء المسؤولية على الماضي :

«يا ليتني فعلت هذا . . . » ، «لماذا لم أفعل ذلك . . . »، «لم يكن ليحدث هذا لو بدأت أسرع . . . »، «لو وضعت هذا الجواب بدل ذلك لحصلت على معدل (A) بدلاً من (B)».

٦ ـ الأهداف قبل كل شيء :

- السهر وتفضيل الدراسة على النوم
- اختيار الدراسة على المتعة والأصدقاء.
- اختيار الدراسة على الأكل .
- تحقيق الأهداف حتى لو على حساب الصحة مما يؤدي إلى تناول المنبهات، وشد الشعر، ولطم الجسد ليبقى منتبهاً . . . إلخ.

٧ ـ العمل المتقن :

- لا يرضى الكمالي إلا بالكمال، لذلك يعيد الشيء مرة تلوالأخرى . . ومرة أخرى وأخرى، حتى يتقن ذلك العمل.

- وقد يعيد نفس المقررات الدراسية في المدرسة ليحصل على معدل (A) بدلاً من (B) لو سمح بذلك نظام الدراسة.

- وقد تكون هذه الإعادة سبباً في تأخره عن طلب علوم أخرى، أو سبباً في ضياع بعض الفرص المهمة.

- وعندما يشعر هذا الإنسان أنه لم يحقق ما يصبو إليه فإنه يبدأ بالشعور بالفشل والنقص، وتظهر عليه الكآبة، ومن ثم يداخله وسواس أنه ليس أهلاً لما هو فيه، مما قد يترتب عليه الانسحاب وعدم الإقدام.

٨ ـ عقلية كله أو عدمه :

يريد الطفل أن يحصل على جميع جوائز المدرسة وعلى جميع الأدوار في المسرحيات، كما يريد أن يحصل على أعلى درجة في جميع المقررات وإلا فإنه لا يقدم ولا يشارك.

وأحياناً يعزز الوالدان هذا الشعور عند الطفل.

مثال : يعطي الوالد ابنه عشر دولارات لكل درجة (A) في تقديرات الدراسة، (إذا كانت جميع المواد في درجة (A) ولكن لو حصل على (B) في أحد المقررات الدراسية فسوف يحرمه من كل المبلغ).

وبهذا تعلم الابن درساً بالإضافة إلى عقلية «كله أو عدمه» أن حب والده وتقديره له يعتمد على مقدار أدائه الدراسي[1].

أهمية رعاية المتفوقين :

إن رعاية المتفوقين ذات أهمية خاصة بالنسبة للمتفوق نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه، فالمتفوق يحتاج لأن يعيش في بيئة صالحة، فهو بالتالي كالشجرة المثمرة التي لا يمكن أن تعطي أجود ما لديها إلا إذا توافرت الظروف المناسبة لها.

---

(١) في : الدافعية، محمد رفقي عيسى، بتصرف.

والمتفوق يحتاج إلى بيئة مناسبة توفر له المناخ التربوي والاجتماعي والصحي والاقتصادي والنفسي المناسب لنمو قدراته، وألا يكون التقصير في إحداها سبباً في كبت قدرات التفوق لديه، فليس جميع المتفوقين يعيشون في بيئات غنية، وعليه يجب أن يتم الكشف عن هؤلاء المتفوقين في وقت مبكر، وذلك لكي نتحاشى أن يكون لقدرات التفوق دور سلبي على هذا المتفوق.

وقد أثبتت بعض الدراسات أن من نزلاء السجون من هم أذكياء ويتمتعون بقدرة عقلية عالية، ويمكننا أن نستنتج من ذلك أن سمة التفوق لدى الطفل ليست كافية لحمايته ودرئه عن استخدام قدرة التفوق لديه في السلوك المنحرف وغير المرغوب به اجتماعياً، ونتيجة لذلك يمكن القول: إن الكشف المبكر ورعاية الطفل المتفوق سوف تقيه من الوقوع في الخطأ على أقل تقدير، إذا لم نتمكن من تنمية قدراته بشكل إيجابي[١].

ويذكر الدكتور أسامة حسن معاجيني[٢] بعض الأسباب التي تحتم تقديم برامج تربوية خاصة للمتفوقين والموهوبين:

١ ـ التفوق العقلي نتاج عملية تفاعلية بين القدرات العقلية والاستعدادات الفطرية للفرد، والتحديات التي يفرضها المجتمع، حيث تثير هذه التحديات قدرات وملكات الفرد الكامنة، وتؤدي بالضرورة إلى إظهار إنتاج متميز.

٢ ـ مبدأ تكافؤ الفرص الذي تنص عليه معظم القوانين والتشريعات، وخصوصاً الديانات السماوية والنظم الديمقراطية.

٣ ـ الملل والإحباط ومظاهر الغضب التي تسيطر على المتفوقين نتيجة القيود المفروضة عليهم وعلى تفكيرهم.

٤ ـ مبدأ الصفوة المختارة من أبناء المجتمعات.

---

(١) تربية الموهوبين والتطوير التربوي، ص ٩٨.

(٢) دور الجامعات بالدول العربية في رعاية المتفوقين والموهوبين، أسامة معاجيني.

٥ ـ اختلاف آراء ورغبات وميول واحتياجات الطلبة المتفوقين عن بقية نوعيات الطلبة .

٦ ـ عندما تلبي رغبات واحتياجات الطلبة المتفوقين وتنمي قدراتهم إلى أقصى حد ممكن يظهر التفوق والإنتاج الإبداعي والانتماء إلى المجتمع .

٧ ـ إسهامات المتفوقين تفوق كماً وكيفاً ما يسهم به جملة أفراد المجتمع الآخرين ، فالأطفال المتفوقون يمثلون ثروة وطنية في غاية الأهمية ، ومن الواجب ألا يتم تبديدها بالإهمال وانعدام الرعاية .

ويضيف الدكتور فتحي جروان أن رعاية الطفل المتفوق ضرورة للنمو المتوازن ، فقد يتعرض بعض الأطفال المتفوقين لمشكلات تكيفية مع محيطهم من جراء التفاوت في مستويات نموهم الحركي والعقلي والانفعالي ، وقد أوضحت الباحثة هولينغرث (Holling Worth, 1942) أن الاختلالات الكبيرة بين مستوى النمو العقلي ومستوى النمو الانفعالي للطفل ، تؤدي في معظم الحالات إلى معاناة في الجوانب العاطفية والاجتماعية ، مما يؤثر على التكيف الانفعالي ، بل قد تمتد المشكلات لتشمل المستوى المعرفي كما يعكسه التحصيل الدراسي .

إن العزلة والانطوائية وعدم تقبل الروتين ونقد الذات ونقد الآخرين بقسوة والنزعة للكمال ، والهروب من مواجهة المواقف أحياناً ، وتدني التحصيل الدراسي ليست سوى أمثلة محدودة لبعض المشكلات التي قد يتعرض لها بعض الطلبة المتفوقين ، ومن هنا جاءت أهمية رعاية المتفوقين ووضع البرامج المناسبة لهم من خلال المؤسسات التربوية ، لتكون وسيلة فعالة لوقاية هؤلاء الطلبة وإنقاذهم من المعاناة والمضاعفات التي قد تترتب على استمرارها[1] .

ويركز معاجيني على الأدوار الأساسية التي يمكن أن تلعبها المؤسسات التربوية في تنمية قدرات المتفوقين والموهوبين وتوفير الفرص التربوية المناسبة لهم من خلال :

---

(١) الموهبة والتفوق والإبداع ، ص ٢٣٧ .

١ ـ تفهم طبيعتهم ووضعهم وتقدير احتياجاتهم وتقبلهم كأفراد فعالين في المجتمع.

٢ ـ مساندتهم وتأييد حقهم في خدمات خاصة متميزة.

٣ ـ توفير كل ما يساعدهم على النمو السليم والتكيف النفسي والاجتماعي.

٤ ـ الاستفادة قدر الإمكان من قدراتهم الكامنة وعطائهم الوفير.

توجيه المتفوق نحو الكمال:

إذا ما قدمت الرعاية المناسبة للمتفوق ووجه التوجيه السليم من قبَل البيت والمدرسة والمجتمع، وصيغت الكمالية التي ينشدها في ضوء تعالَيم الدين الإسلامي الحنيف، فإننا سنقطف ثمار التفوق على المستوى الفردي والجماعي، ويعيش المتفوق في استقرار نفسي وهدوء انفعالي عارفاً بما له وما عليه من حقوق وواجبات، ويذكر الدكتور محمد رفقي عيسى (١٩٨٨م)، عدداً من الخصائص الرئيسة في شخصية المسلم الباحث عن الكمال:

ـ الاعتراف بالنقص البشري، والتعامل معه بلا تأليه للإنسان.

ـ الاهتمام بالواحد في إطار الكل ورفع قيمة الجماعة على قيمة الفرد عند الترجيح فقط، ولا يؤدي ذلك إلا إلى مزيد من التوافق النفسي الذي يجعل من يموت في سبيل الأمة يقول: «فزتُ ورب الكعبة».

ـ إقرار الفروق الفردية على أساس الاختلاف لا التخلف، وربط التميز بالاستطاعة.

ـ وضوح الغاية الكلية (الهدف النهائي) والربط بينها وبين الأهداف المرحلية والتعامل معها في إطار يجمع بين الواقعية المقبولة والمثالية المحببة.

ـ الإدراك الكامل من أن وجودنا لم يكن عبثاً وإنما هو لغاية (عبادة الله)

تستهدف صالحنا في هذا الوجود الحالي والوجود المستقبلي، فاتباع المنهج يبعدنا عن الضلالة والشقاء في هذه الدنيا، ويحقق لنا الرضا الكامل في الآخرة.

- الربط بين الغاية والوسيلة بغض النظر عن الناتج، فالإنسان ما عليه إلا أن يقدم العمل الجيد المتقن ويبحث عن جميع الوسائل المناسبة لتحقيق أهدافه، وذلك بعد توكله على الله، فإن حقق ما يصبو إليه فإن ذلك يرجع إلى توفيق الله، ثم إلى ما قدم من عمل متقن، وإن لم يوفق في تحقيق النتائج المطلوبة فإنه ينظر إلى ذلك في إطار قضاء الله وقدره وتفويض الأمر لله، ولعل ذلك من باب الرحمة الربانية فيكون خيراً له لجهله بالغيب، وبهذه النظرة لا يلوم الإنسان نفسه ولا يلوم الماضي، فإنه قد قدم جميع الوسائل، يقول الشاعر:

لا تلم كفي إذا السيف نبا ... صح عزمي والله أبا

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام واصفاً لأمته قاعدة ربانية، وهو يوصي الصحابي الجليل عبدالله بن عباس:

"يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (١).

ويمكن أن نتصور علاقة الإنسان مع غيره من الوحدات البشرية في إطار علاقته مع ربه.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

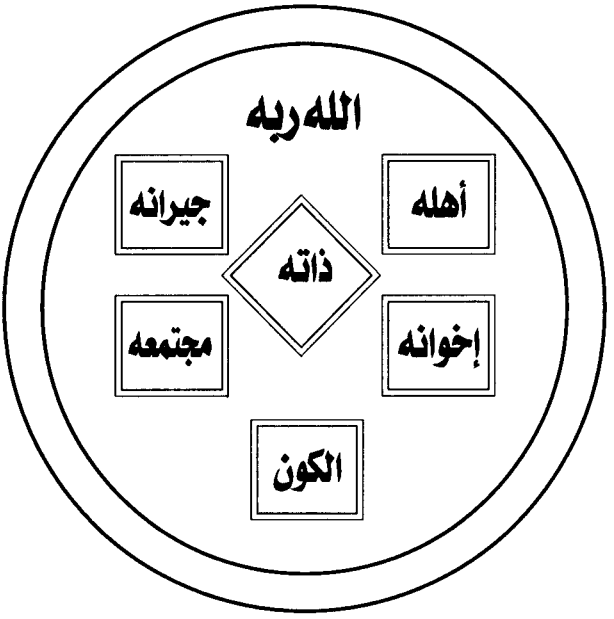

شكل (رقم ٢) يوضح علاقة الإنسان مع غيره من البشر

سواء بالسلب أو الإيجاب من خلال علاقته بربه

علاقة الإنسان الكامل مع ربه :

مؤمن بربوبيته ووحدانيته، مطيع لحدوده في افعل ولا تفعل، ومتحمّل لمسؤولياته، متمثل للعبودية المطلقة لله، مؤمن بالغيب وبالقضاء والقدر خيره وشره.

علاقته بذاته :

يؤمن بأنه مستخلف فيما له، فيرعاه ولا يبدده، يرعى جسمه، وينمي عقله، ويتقن ما كان عليه فرض عين ويزكّي روحه، ويحرر إرادته، ولا يتدخل فيما لا يعنيه.

علاقته بأهله :

بارّ بأهله، يحسن لوالديه، ويودهما في حياتهما ومماتهما، خيّر لزوجته، قوّام بالحق على أسرته بالمودة والرحمة، يصل رحمه مهما كانت العوائق.

علاقته بإخوانه :

ينصرهم بالحق والموعظة الحسنة، كلهم عليه حرام في النفس والمال والعرض، متحاب ذو إيثار يطبق مبدأ الأخوّة الإسلامية .

علاقته بجيرانه :

يحسن معاملتهم، سمح معهم، عون لهم، صبّار على أذاهم، يسعد به جاره، ولا يشقى به جليسه، عفيف ذو حياء، ستّار يفشي السلام.

علاقته بمجتمعه :

أهل خير وعدل، يوفي بعهده معهم، يدرأ المفسدة عنهم، ويجلب المصلحة لهم، يبتغي وجه الله فيهم، ولا يخرج عن الجماعة.

علاقته بالكون :

يتعامل مع الكون المسخر له تعامل الإنسان العارف بربه الحافظ لحدوده، فالكون مسخر بإرادة الله ومشيئته، عون للإنسان على القيام بعبادة الله في إعمار الأرض، وما يستتبع ذلك من واجبات الرعاية وحسن الاستخدام.

ويشير المربع داخل الآخر إلى اتساع المحيط دوماً، ويضمن هذا الاتساع استمرار الجهد وتزايد الكل مع عدم انتقاص قدر الواحد في هذا الكل[1] .

---

(١) الدافعية، محمد رفقي عيسى، ١٩٨٨م بتصرف.